المحاضرة7: حضارة بلاد الرافدين (المجتمع والعلوم والاقتصاد)

1/-المجتمع:

أ.1/- طبقات المجتمع: كان المجتمع في حضارة بلاد الرّافدين قائما على أساس الطّبقيّة وهي:

1)-الملك: هو رأس المجتمع وصاحب السّلطة الزّمنيّة يمثّل الإله على الأرض، ويتمّ اختياره بواسطة استشارة الكهنة وبذلك يفسح المجال للخروج على مبدأ الوراثة في العرش، فقد يتحزّب الكهنة لشخص دون الآخر مبرّرين ذلك بالاستجابة لمشيئة الآلهة.

2)- طبقة الأحرار: (النّبلاء) وتسمّى أيضا **"إميلو"** وتضمّ الكهنة والكتبة والموظّفين. اعتبره قانون حمورابي العنصر الأساسي، والعائلة لديهم نواة المجتمع.

1.2/-الكهنة: تميّز الكهنة بسلطة كبيرة منذ أيّام السّومريين فالملك السّومري هو الكاهن في الوقت ذاته (باتيزي)، ومع مرور الوقت أخذت سلطة الكهنة تتضاعف نتيجة لاعتقاد النّاس بالسّحر والتّنجيم، وأصبحت استشارتهم واجبا في انتقال الحكم. وفي مرتبة أدنى كهنة المعابد، إضافة كهنة البلاط يتمتّعون بنفوذ معنوي ومادّي لأنّهم جمعوا ما بين الطّبّ والدّين ولهم أجور عاليّة وقسم كبير من الذّبائح والتّقادم عائد إليهم.

2.2/-الكتبة والموظّفون: يؤخذ الكتبة من بين الكهنة، لكن مع اتّساع رقعة الدّولة اشتدّت الحاجة إلى الموظّفين ونشط التّراسل بين المقاطعات لم يعد بالإمكان اختيارهم من بين الكهنة. وقد بلغ عددهم أيّام حمورابي عشرة آلاف.

أ.2/- الجيش: كان يرأس الجيش الملك نفسه أو قائد يدعى "تورتان". وقد يصبح القائد خطرا على العرش إذا ضعفت شخصيّة الملك. ويتوزّع الجنود حسب اختصاصهم إلى فرق أهمّها:

1)-المشاة: عددهم وفير سلاحهم القسيّ والحراب والسّيوف.

2)- الخيّالة: وهي من الفرق المستحدثة لدى الأشوريين تعتمد على سرعة الهجوم والالتفاف. ومن أهمّ أسلحتها: القوس.

3)-الهندسة: تبرز مهمّتها في حرب العصابات مجهّزة بسلالم لتسلّق الأسوار، وبمدكّات ضخمة لتحطيم الأبواب

د/-المركبات: أو ما نسمّيه اليوم بلغة العصر الدّروع، ويجرّ المركبة جوادان أو ثلاثة جياد، فهي سلاح مصمّم للهجوم أو اقتحام الصّفوف.

ه/- البحريّة: اعتمد الأشوريون على الفنيقين في إنشاء أسطول حربي، فأتى على صورة المراكب الفنيقيّة.

أ.2/- المرأة والزّواج:

كان الرّجل هو المسيطر على العائلة وله الحقّ في بيع زوجته وفاءا للدّين، وحتّى قتلها وزنى الرّجل كان يعدّ من النزوات، فيما يعدّ زنى الزّوجة بالإعدام.
ورغم ذلك كانت المرأة عامّة في حضارة بلاد الرّافدين أفضل حالا مقارنة بالحضارات الأخرى حيث كانت تمتلك حقّ الإرث والتّملك. كما أنّ نساء الطّبقات العليا كنّ يعشن حياة مترفة ولديهن الكثير من الجواهر والأصباغ.
كانت الفتاة إذا تزوّجت لها الحقّ بأن تحتفظ لنفسها ما يقدّمه أبوها من هبة وتقرّر من يرثها بعد وفاتها، كما كان لها الحقّ بأن تشتغل بالأعمال التّجاريّة مستقلّة عن زوجها.
كما شاعت في بلاد الرّافدين نساء خادمات للمعبد، ومنهن سراري للكهنة والآلهة ومن هنا نشأ البغاء المقدّس.

2/- العلوم:

1.2-الكتابة: أحسّ السّومريّون بالحاجة غلى تدوين أفكارهم، فوضعوا أسس كتابة أوليّة أخذها عنهم " الأكاديّون" وطوّروها فأصبحت أيسر استعمالا. وعرفت باسم "الكتابة المسماريّة"
وتبدأ الكتابة المسماريّة من اليمين إلى اليسار، ومن فوق إلى تحت حتّى لا يمحى تحت يد الكاتب.

2.2- الأدب: لا مجال للكلام عن نشأة الأدب في بلاد الرّافدين فهو يرجع بأصله للسّومريين والّذي وجد مخطوطا بالكتابة المسماريّة، إلّا أنّه تشعبّت موضوعاته فتناولت قضايا دينيّة وفكريّة. وتناولت الرّثاء بشكل "أناشيد"، أمّا الأدب الوجداني الدّنيوي فقد كان نصيبه القليل.

2.3- التّشريع: يعود الفضل إلى تدوين شرائع في قانون حمورابي، حيث جمع 282 مادّة تشريعيّة اقتبسها من التّقاليد والقوانين المعمول بها حتّى أيّامه. وجعلها أكثر ملاءمة لمجتمعه وعصره. والمبدأ الأساسي المعتمد في قانون حمورابي الطّبقيّة والمعاملة بالمثل.

2.4-التّقويم: يبدأ العام لدى السّومريين في الرّبيع أي في فترة انتعاش الطّبيعة، فيقيمون لهذا احتفالات ضخمة. وتنقسم السّنة إلى فصلين متعادلين.
واليوم لدى سكّان بلاد الرّافدين يبدأ عند الغروب، ويُقسّم إلى 12 فترة مدّة كلّ فترة ساعتان وقسّموا السّاعة إلى 60 دقيقة والدّقيقة إلى 60 ثانيّة.
أمّا التّاريخ فلا يبدأ مع حدث رئيسي معيّن بل يتبدّل، وقد يبدأ أيضا مع تدشين معبد.

2.5-الأعداد والمقاييس: لم يعرف سكّان بلاد الرّافدين بل رمزوا إلى العدد 1 بهذا الشّكل

وكرّروه من 1 إلى 9 بقدر ما يريدون. حتّى إذا وصلوا إلى رقم 10 مثلوها بشكل

كان المثقال يساوي 60 وزنة، والوزنة 60 حبّة، والشِّكْلُو=180حبّة، كما قسّموا اليوم إلى 12 فترة مدّة كلّ منها ساعة، والأعداد إلى دزينات (12 وحدة)، وكلّ خمس دزينات= 60.

جهلت شعوب بلاد الرّافدين الرّقم صفر ولكنّ الحساب تطوّر على يدها تطوّرا مدهشا فقد وضعت جداول الضّرب، كما طوّروا الجبر حتّى عرفت المعادلات الجبريّة.

2.6- الطبّ: لم يستقلّ الطبّ عن الدّين كعلم قائم بذاته، فالكهنة هم الأطباء يتشدّدون في الحفاظ على سرّ المهنة ومعلوماتهم يضعون لها تفاسير وأدويّة روحيّة، فالمريض عادة هي مرتكب الخطيئة تخلّى عنه الإله ودخل الشّيطان في جسمه وأقام يعذّبه، ولذلك يصف له عقاقير مرّة المذاق. ليتضايق منها الشّيطان فيغادر جسم المريض.

وفي عهد الدّولة البابليّة بذلوا جهودا لتخليص الطّب من هذه الذّهنيّة، فقانون حمورابي وضع مواد تنظّم مهنة الطّب. كما حدّد الأجر الواجب تقاضيه من الحرّ والمسكين والعبيد، إضافة إلى أنّ هناك مواد تحمي المهنة فمثلا: "إذا مات المريض قطعت يد الطّبيب".

فالطبّ والجراحة هما من اختصاص الآلهة "بُو" ومن يخطئ هو الطّبيب، وهذا ما يستدعي إلى الامتناع عن كلّ عمليّة غير مؤكّدة النّجاح. وبذلك نتج عن بطء التّقدم في الجراحة.

3/-المظاهر الاقتصاديّة:

1.3- الزّراعة: اعتمدت الحياة في بلاد الرّافدين على الزّراعة بالدّرجة الأولى وهذا نظرا لتوفرّ نهري الدّجلة والفرات.

ومن أجل ذلك اهتم الملوك بشقّ القنوات في أنحاء البلاد، لتحميل مياه النهرين لريّ الحقول، ولقد فرض حمورابي العقوبات على كلّ من يهمل وسائل الريّ أو يلحق بها ضرر.

ومن أهمّ المحاصيل الزّراعيّة هي: الحبوب كالذرة والقمح والشّعير والتّمور والفواكه المختلفة والخضروات والسمسم والزّيتون، كما اهتمّوا بالتربيّة الحيوانيّة وبخاصّة الأغنام والجاموس والخيل.

أمّا عن الأدوات التي استخدمها السوماريّون في الزّراعة فؤوس من الحجر لحرث الأرض، وبعد مدّة ظهر المحراث الخشبي الّذي تجرّه الحيوانات والمناجل الحجرية والمعدنيّة.

2.3- الصّناعة: إن توافر المواد الأولية للصّناعة ساعد على قيام صناعات متنوّعة في بلاد الرّافدين. ومن أهمّها: صناعة المنسوجات، صناعة الأدوات والأواني الفخاريّة والخزفيّة، كما صنعت الحلي وأدوات الزّينة من الذهب والفضّة صناعة الأسلحة التي بلغت ذروتها في العصر الأشوري ومن أبرزها: آلات الحصار

المصنوعة على هيئة أبراج خشبية مربعة تسير على عجلة وفي مقدمتها قطعة خشبية سميكة أو معدنية مخصّصة لاقتحام الأسوار.

3.3- التّجارة: كان لموقع بلاد الرافدين أثر الواضح في نشأة التّجارة الخارجيّة وتطوّرها وازدهارها، فهو يقع عند ملتقى الطّرق التّجاريّة الرئيسيّة.

ولقد جلبت الأحجار الكريمة واللؤلؤ والزّيوت من الخليج العربي، والعقيق والبخور من اليمن والفضّة من بلاد السّند وآسيا الصغرى (الأناضول) والأخشاب من بلاد الشّام

أمّا عن عمليّة التّبادل التّجاري فقد تمّت على المقايضة ثمّ استخدمت سبائك الفضّة في العمليّات التّجاريّة.